

أيتام ولكن ... عظماء

(٢٠ نموذجاً من أعلام أمثا ممن عاشوا من حلة اليندر)

المؤلفان

د. عبدالله بن إبراهيم اللحيان

د. عبدالله بن محمد المطوع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين . ، أما بعد :

فإن المتتبع لسير الأعلام العظام في تاريخ الأمم يجد في الغالب أن الألم هو الحضانة الأولى لهؤلاء ؛ وأن هذا الألم^(١) كان سبباً رئيساً . بعد توفيق الله تعالى . في تكوين شخصياتهم ودافعاً لهم للبروز والتفوق على أقرانهم لتعويض ما فقدوه ، حتى صارت أسماءهم تذكر في القرون المتتابعة بعدهم ؛ ولم تحل ظروفهم الخلقية أو المعيشية من نيلهم تلك المقامات العالية والدرجات المتقدمة في حياتهم وبعد مماتهم .

وفي هذا الكتاب سنستعرض سير عدد من أعلام أمتنا الإسلامية ممن برزوا في عدد من مجالات الحياة وكانوا أيتاماً في مقتبل حياتهم ؛ حيث لم يمنعهم هذا اليتيم المضعف من التفوق والبروز في مجالاتهم المختلفة .

وعلى الرغم من الأزمنة المديدة التي تفصل بيننا وبين أغلبهم إلا أننا لازلنا نذكر ونتذكر بفخر مواقفهم في ميادين الدعوة ؛ في : مساجدنا ومدارسنا وجامعاتنا ومجالسنا، ونستشهد بأرائهم وأقوالهم في مؤلفاتنا ؛ بل مضت أسماءهم مصدر فخر لمن تسمى بأسمائهم ممن جاء بعدهم ، بل وتسمت بهم مدارس ومذاهب ، كما سميت عليهم . إقتداء بهم وثناء عليهم . المراكز الدينية والمحافل العلمية والميادين العامة .

وحتى وصلوا لهذه المكانة فإنهم مروا بتجارب مريرة ومواقف متعبة ، كابدوا من خلالها مرارة اليتيم وشظف العيش وقسوة الحياة في سيرة مليئة بالصعوبة والمشقة ، ولذا كان على اليتيم إن أراد بحق أن يسلك هذا الطريق الجميل في خاتمته ونهايته الذي مرَّ به هؤلاء ،

(١) باختلاف نوعية هذا الألم ؛ سواء أكان يتماً أم فقراً أم مرضاً ، ونحو ذلك .

أن يُعَدَّ من نفسه ما يعينه على بلوغ هذا الطريق الشاق ويحتمل في سبيل ذلك ما يعترضه من صعوبات وتبعات.

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال
فهذا سبيل أولئك الأخيار والأئمة الأعلام والدعاة الأبرار . رحمهم الله . الذين سيرد ذكرهم في هذا الكتاب ، إذ لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد جهد ومجاهدة وصبر ومصابرة ؛ فهذه سُنَّةٌ للكبار .

ومن يتهيب صعود الجبالٍ يعيش أبد الدهر بين الحفرِ
بقي أن نشير إلى أننا لم نقصد في جمع سير هؤلاء الأعلام الاستيعاب، فهذا متعذر، فإن من رام الحصر في هذا الباب فلن يستطيع إلى ذلك سبيلاً ، وذلك : لكثرة من يزخر به تاريخ أمتنا من الأعلام البارزة في مختلف المجالات وكانوا في بداياتهم أيتاماً ، ولكنها إطلالة المحب واستقراء المتأكد لسير عدد من هؤلاء العظام الذين نحسب أنهم خير من يعطي الدلالة لكل يتيم أن بإمكانه أن يقدم لدينه ثم لمجتمعه وأمته الشيء الكثير إن عمل ووثق بنفسه ولم يتحجج بالقدر من دون عمل ومثابرة واجتهاد.

لماذا هذا الكتاب ؟

هذا الكتاب قصدنا منه تحقيق عدد من الأهداف المهمة ؛ أبرزها :

١- التأكيد على أن اليتيم ليس نهاية المطاف للمرء بل هو قدر إلهي ، ولهذا القدر حكمته ، وقد يكون اليتيم بداية الطريق إلى المجد والعظمة . كما سيتضح ذلك جلياً من خلال سير هؤلاء العظام . .

جرّاً أمراً ترتجيه	ربّاً أمرٍ تتقيه
وبدا المكروه فيه	خفي المحبوب منه
ه إلى عدلٍ يليه	فاترك الدهر وسلّم

٢- تحفيز اليتيم أو اليتيمة للعمل وتقديم الخير لنفسه ووطنه وأمته ، وأن يجتهد في الوقوف مع نفسه بقوة وعزم وحزم لينقلها إلى معالي الأمور ونبذ التكاسل والخلود إلى الدعة وسفساف الأمور ، ويعمل بقول الشاعر :

اطرح لیتَ وسوفَ ولعلَّ وامضِ كالسيفِ على كفِ البطلِ

ويجتهد بإتقان وعزيمة ومثابرة في دراسته وعمله فهو . بإذن الله تعالى . على جانب كبير من المقدرة والكفاية لتحقيق ما يصبو إليه .

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنفص القادرين على التمام

٣. تصحيح النظرة السوداوية الشائعة في بعض المجتمعات ، ويصرح بها بعض الأفراد ؛ إذ حين يسمعون بموت رجل أو امرأة ولديهما أولاداً صغاراً فيجزمون بضياعهم وفشلهم في هذه الحياة ، والتي قد تجد قبولاً في أنفس بعض الأيتام وقد يركنون إليها ؛ ولعل في سير هؤلاء الأعلام الذين سيرد ذكرهم في هذا الكتاب رد على هذه النظرة القاصرة والظالمة .

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، كما نسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

المؤلفان

في شهر صفر من عام ١٤٢٥ هـ

المملكة العربية السعودية . الرياض

ص ب ١٢٣٥٣٧ رمز ١١٥٧١

- تمهيد :

قبل الشروع في سير أعلام المسلمين ممن كانوا يتامى نذكر أبرز معالم هذا الموضوع من الناحيتين اللغوية والشرعية :

. اليتيم في اللغة :

من أبرز مدلولات اللغة العربية لكلمة اليتيم : الانفراد ، وفقدان الأب ، واليتيم: الفرد وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم^(١)، وأصل اليتيم: الغفلة ، وبه سمي اليتيم يتيماً ؛ لأنه يُغفل عن بره ، وقيل: اليتيم الإبطاء ، ومنه أخذ اليتيم ؛ لأن البر يبطن عنه^(٢)، ويقال أيضاً: في سيره يتم ، أي: إبطاء أو ضعف أو فتور^(٣)، فكلمة (اليتيم) في أصلها اللغوي تدور على الانفراد والضعف والبطء والحاجة ، وتلك صفات واقع الحال لليتيم في الغالب .

واسم (اليتيم) يطلق تجوزاً لكل من فقد أحد والديه أو كليهما ، ويقال للصبي يتيم إذا فقد أباه قبل البلوغ ، فهو يتيم حتى يبلغ الحلم ، ويقال للمرأة يتيمة ما لم تتزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم (اليتيم) ، والجمع : أيتام ويتامى .^(٤)

. أما اليتيم في الشرع :

فهو من فقد أباه وهو دون البلوغ ، أخذاً من قول الرسول ﷺ: « لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل ».^(٥)

والتعريف المقصود في هذا الكتاب لكلمة (اليتيم) هو : (من فقد والده قبل البلوغ أو قبل التمييز أو قبل الولادة أحياناً).

. اليتيم في التشريع الإسلامي :

- (١) مختار الصحاح ، الرازي ، ص ٧٤١ .
- (٢) لسان العرب، ابن منظور، ٦٤٥/١٢ .
- (٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرين ، ١٠٦٣/٢ .
- (٤) ومن أقوال أهل العلم في تعريف الأيتام : الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء، انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢١/١، ويقول ابن العربي - رحمه الله - : (- اليتيم - : عند العرب هو اسم لكل من لا أب له من الأدميين حتى يبلغ الحلم ، فإذا بلغه خرج عن هذا الاسم ، وصار في جملة الرجال، وحقيقة اليتيم : الانفراد ، فإن رشد عند البلوغ واستقل بنفسه في النظر لها، والمعرفة بمصالحها .. زال عنه اسم اليتيم ومعناه من الحجر وإن بلغ الحلم ، وهو مستمر في غرارته وسفهه .. زال عنه اسم اليتيم حقيقة ، وبقي عليه حكم الحجر ...) ، أحكام القرآن ، ٤٠٢/١ .
- (٥) سنن أبي داود، كتاب الوصايا، حديث رقم ٢٨٧٣، وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ٢٠٨/٢ .

اليتمى في المجتمع المسلم لا يعيشون على هامش الحياة ؛ فقد كفل الإسلام لهم من الحقوق وشرع لهم من الشرائع ما يضيق عنه الحصر، ومما يؤكد على حرص التشريع الإسلامي على اليتيم والتأكيد المستمر على العناية به وحفظه : ورود كلمة (اليتيم) ومشتقاتها في ثلاث وعشرين آية من آيات القرآن العظيم^(١)، شملت حفظ حقوقهم، والتحذير من أكل أموالهم، والندب إلى البر بهم والعدل معهم، منها قوله تعالى: ↓

﴿لِيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ إِلَىٰ آلِهِ يَوْمَ السَّعَاتِ﴾ ﴿٢٠٠﴾
﴿لَا يَرْثِ الَّذِينَ آمَنُوا مِمَّا كَفَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ذُنُوبُهُمْ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا أَلَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿٢٠١﴾
﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿٢٠٢﴾
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلْيَسْأَلْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢٠٣﴾
﴿وَأَمَّا الْبَصِيرَ فَلْيَأْكُلْ مِمَّا بَدَلْتَهُ﴾ ﴿٢٠٤﴾
﴿وَلْيَسْأَلْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢٠٥﴾
﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿٢٠٦﴾
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلْيَسْأَلْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢٠٧﴾
﴿وَأَمَّا الْبَصِيرَ فَلْيَأْكُلْ مِمَّا بَدَلْتَهُ﴾ ﴿٢٠٨﴾
﴿وَلْيَسْأَلْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢٠٩﴾
﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿٢١٠﴾
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلْيَسْأَلْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢١١﴾
﴿وَأَمَّا الْبَصِيرَ فَلْيَأْكُلْ مِمَّا بَدَلْتَهُ﴾ ﴿٢١٢﴾
﴿وَلْيَسْأَلْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢١٣﴾
﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿٢١٤﴾
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلْيَسْأَلْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢١٥﴾
﴿وَأَمَّا الْبَصِيرَ فَلْيَأْكُلْ مِمَّا بَدَلْتَهُ﴾ ﴿٢١٦﴾
﴿وَلْيَسْأَلْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢١٧﴾
﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿٢١٨﴾
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلْيَسْأَلْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ﴿٢١٩﴾
﴿وَأَمَّا الْبَصِيرَ فَلْيَأْكُلْ مِمَّا بَدَلْتَهُ﴾ ﴿٢٢٠﴾

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص ٧٧٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الماعون الآية: ١-٢.

وفي النقاط المجملّة الآتية نستعرض بعض الدلائل المؤكدة على اهتمام الإسلام باليتيم ورعايته :

١. تتضح أبرز هذه الدلائل من خلال التأكيد على العناية به والشفقة عليه ، لكيلا يشعر بالنقص عن غيره من أفراد المجتمع ؛ فيتحطم ويصبح عضواً هادماً في المجتمع المسلم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْيَتَامَىٰ وَالسُّبْحَانَ لِلَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: (فلا تقهر اليتيم ، أي : لا تذله وتنهره وتحنه ، ولكن أحسن إليه وتلطف به ، وكن لليتيم كالأب الرحيم) (٢) ، ويقول الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - : (أي لا تسئ معاملته اليتيم ، ولا يضق صدرك عليه ، ولا تنهره ، بل أكرمه ، وأعطه ما تيسر ، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك) . (٣)

٢. ولقد كان النبي الكريم ﷺ أرحم الناس باليتيم وأشفقهم عليه ، وحث ورغب في الإحسان إليه فقال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً » (٤) ، يقول ابن بطال - رحمه الله - مبيناً أهمية هذا الحديث : (حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك) . (٥)

٣. وعدّ الرسول ﷺ أكل مال اليتيم من عظام الكبائر في الدين ، في قوله عليه الصلاة والسلام: « اجتنبوا السبع الموبقات - يعني المهلكات - ، قالوا: يا رسول الله ، وما هن؟ قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،

(١) سورة الضحى، الآية: ٩ .
(٢) تفسير القرآن العظيم، ٥٢٣/٤ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن ، ص٨٥٨ .
(٤) رواه البخاري، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، رقم ٥٣٠٤ ، ورقم ٦٠٠٥ ، ورواه مسلم بلفظ قريب ، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، رقم ٧٣٩٤ .
(٥) فتح الباري ، لابن حجر ، ٤٣٦/١٠ .

وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١) ، واستمراراً لحرص التشريع الإسلامي على أموال اليتامى ، فقد أمر باستثمارها وتنميتها ؛ حتى لا تستنفدها النفقة عليهم أو بإخراج زكاتها ، يقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (اتَّجروا في مال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة) ، ومن هنا يلزم الولي على مال اليتيم استثمارها لمصلحة اليتيم على رأي كثير من أهل العلم بشرط عدم تعريضها للأخطار.^(٢)

٤ . وعدَّ الرسول ﷺ بالأجر العظيم لمن تكفل برعاية الأيتام ، وتقدم قوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئاً »^(٣) ، وقال ﷺ في حديث آخر : « من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره ، وغدا وراح شاهراً سيفه في سبيل الله ، وكنت أنا وهو في الجنة أخوين كهاتين أختان ، وألصق إصبعيه السبابة والوسطى ».^(٤)

٥ . كما جعل نبى الرحمة ﷺ الإحسان إلى الأيتام علاجاً لقسوة القلب ، إذ شكوا إليه رجل قسوة قلبه فقال : « امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين »^(٥) ، كما جعله ﷺ سبباً لحصول سعادة الحياة الدنيا ؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال لرجل : « أحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ، ارحم اليتيم وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك ».^(٦)

فمسح رأس اليتيم سبب مخلص من قسوة القلوب المبعدة عن الرب فإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي^(٧) ، ورتب على هذا الفعل . مسح رأس اليتيم .

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا ، باب قوله «إن الذين يأكلون أموال اليتامى» ، رقم ٢٧٦٦ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر ، رقم ٢٥٨ .

(٢) استثمار أموال الأيتام في الفقه الإسلامي، نزيه حماد ، مجلة البحوث ، ص ٢٤ .

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب، باب حق اليتيم ، رقم ٣٦٨٠ ، وفي سنده ضعف ، انظر: ضعيف سنن ابن ماجة ، الألباني ، ص ٢٩٩ .

(٥) مسند الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رقم ٩٠١٨ ، وفي سنده ضعف ، انظر: المسند ، بتحقيق الأرنؤوط وآخرين ، ٥٥٨/١٤ .

(٦) رواه الطبراني ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، رقم ٨٠ ، ٧٨/١ .

(٧) انظر : فيض القدير ، المناوي ، ١٠٨/١ .

الأجر العظيم ؛ حيث يكسب المرء الحسنات العظام بكل شعرة يمسخ فيها على رأس ذلك اليتيم ، فعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: « من مسح رأس يتييم لم يمسخه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتييم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين. وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى ». (١)

٦. تشديده عليه الصلاة والسلام في غمط حق هذه الفئة أو ظلمها وتعظيمه لذلك بقوله ﷺ : « اللهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة ». (٢)

هذه إطلالة سريعة على بعض النصوص الكريمة التي يتبين منها حض الإسلام على جعل المجتمع المسلم متآزرًا متعاونًا يشد بعضه بعضاً ، من خلال العناية بهذه الفئة الغالية والمهمة في المجتمع ؛ حرصاً على صيانة حقوقها والاهتمام بشؤونها والسعي لإصلاحها لتكون أدوات إصلاح وصلاح في المجتمع المسلم. (٣)

(١) مسند الإمام أحمد ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، رقم ٢٢١٥٣ ، وهو صحيح لغيره ، انظر المسند ، ٤٧٤/٣٦ .
(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب حق اليتيم ، رقم ٣٧٤٥ ، وحسنه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجة ، ٢١٧/٣ .
(٣) للاستزادة حول قضايا الأيتام وحقوقهم ؛ انظر: رعاية الأيتام في المملكة ، السدحان ، ص ١٥ ، حقوق اليتامى ، د.اللاحم ، ص ٦ .

. سيد الخلق ﷺ يتيماً :

إذا كان الله تعالى قد قدر على نبينا محمد ﷺ أن يكون يتيماً ، فإن لهذا التقدير حكمته العظيمة ؛ وقد امتن الله عز وجل على نبيه بذلك فقال تعالى: ﴿...﴾^(١) ، سئل جعفر الصادق - رحمه الله - : لم أوتم النبي ﷺ من أبويه؟ ، فقال : (لئلا يكون لمخلوق عليه حق)^(٢) ، وقال البقاعي - رحمه الله - : (لما كان يلزم من اليتيم في الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل ، ومن عدم العلم الضلال ، قال مبيناً أن يُتمه وإهماله من الحمل على دينهم كان نعمة عظيمة عليه ؛ لأنه لم يكن على دين قومه في حين من الأحيان أصلاً).^(٣)

وكما نعرف من سيرة نبينا الخاتم محمد ﷺ أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ، وقيل توفي بعد أن ولد ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبدالمطلب إلى أن توفي ، وله من العمر ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب

(١) سورة الضحى، الآية: ٦.
 (٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ٢٠ / ٩٦.
 (٣) نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، البقاعي، ٤٥٧/٨.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل^(١)

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل^(٢)

ولقد كان النبي ﷺ للأيتام كالأب الرحيم المشفق المحب ، وقد اقتفى الصحابة رضي الله عنهم فعل النبي ﷺ في معاملة اليتامى ؛ فقد ثبت أن هناك العديد من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم كفلوا أيتاماً ویتيمات وضموهم إلى بيوتهم ، ومنهم على سبيل المثال : أبو بكر الصديق ، ورافع بن خديج ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو طلحة ، وأسعد بن زرارة ، وعائشة بنت الصديق ، وأم سليم ، وزينب بنت معاوية ، وغيرهم كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم^(٣) ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى يتيماً مسح برأسه وأعطاه شيئاً^(٤).

. أسباب مهمة في حياة اليتيم :

- قبل أن نستعرض نماذج من العظماء في تاريخ الإسلام ممن كانوا أيتاماً ، نذكر بعض الأسباب المهمة التي نرى أنها تؤدي إلى نبوغهم وتفوقهم ؛ ومن ذلك:
- ١ - إن اليتيم مظنة للدعوات المباركة المستحابة . بإذن الله . ممن حوله من أقاربه وذويه ومعارفه.
 - ٢ - إن اليتيم في المجتمع المسلم محل لإحسان الناس وتلطفهم معه ؛ لإشباع حاجاتهم من الرعاية والاهتمام.

(١) قوله ثمال اليتامى، الثمال: الملجأ والغياث والمطعم في الشدة ، انظر: لسان العرب ، ابن منظور، ٩٤/١١ .
 (٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٥٧/٣ ، وهذه الأبيات من قصيدة طويلة تضم أكثر من تسعين بيتاً قال عنها ابن كثير: هذه القصيدة عظيمة بليغة جداً وهي أفضل من المعلقات السبع أ. هـ.
 (٣) انظر : رعاية الأيتام في المملكة ، السدحان ، ص ٥٧.
 (٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩٦/ ٢٠ .

٣- إن اليتيم يتخلص من الوصاية من قبل الآباء ؛ فقد يفرض بعض الآباء . الوالد أو الوالدة . على أولادهم نمطاً من الاتجاهات والعلوم أو الأعمال التي لا تتوافق مع رغباتهم واحتياجاتهم ، كما أن بعض الآباء قد يكون سبباً في التنشئة السيئة لولده أو قدوة سيئة له .

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه وحيداً
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أماً تخلت أو أباً مشغولاً

٤- شعور اليتيم بأهمية إثبات الوجود ، حيث يرى أنه يختلف عن غيره ممن لم يفقدوا آباءهم ؛ وبالتالي يدفعه هذا إلى التعويض وإثبات الذات ومن ثم التفوق .
وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بداراً كاملاً
٥- شعور اليتيم بتحمل المسؤولية من صغره ؛ فقد يلي من الأعمال ما لا يكون لغيره، وهذا يكسبه مزية على غيره ممن لم يتعود تحمل المسؤولية في صغره ، وهذا ينمي فيه الشخصية القوية القادرة على التحمل والمواجهة والثبات.

هذه الأسباب برأينا من أهم الأسباب التي ينبغي أن يُنظر فيها إلى اليتيم بصورة إيجابية ، وبالتالي نحفز هؤلاء الأيتام ليكونوا أعضاءً فاعلين في المجتمع ؛ لأنه من المعلوم أن اليتيم طفل اليوم ، ورجل المستقبل ، وستكون سلوكياته المستقبلية أسيرة للتربية التي تلقاها في صغره ، فإن كان قد أعطي الثقة وأحسن إليه في الرعاية والتوجيه ؛ فإن ذلك ولا ريب سيكون له ثماره الياينة في غده على نفسه ومجتمعه وأمته.

قبل البدء :

اجتهدنا ونحن نقوم باستعراض نماذج من أعلام أمتنا الإسلامية العظام الذين كانوا يتامى في بداية حياتهم ؛ لعلنا نقدم من خلال هذه النماذج الكبيرة التي يتردد صداها على مسامعنا بين الفينة والأخرى ليكونوا قدوة حسنة للأيتام المعاصرين ، ومن ثم يقوموا بخدمة دينهم ، ويقدموا الخير لهم وللآخرين ليسعدوا جميعا في الدنيا والآخرة.

*** أولاً : صحابة عاشوا اليتيم :**

مدخل : أكرم الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم بصحبة النبي ﷺ ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت لهم الفضل والعدالة ، منها ما نزل في صحابي واحد أو في أصحاب مشهد معين مع الرسول ﷺ ، كرضوانه عن الذين بايعوا تحت الشجرة في الحديبية ، ومنها ما نزل فيهم عامة ودخل تحت ظلها كل صحابي .

فمن الآيات العامة الشاملة قوله عزوجل: ﴿ فَمَنْ آتَىٰ مَكَّةَ مُسَلِّمًا وَلَا حُرْبًا فَنُصِرْتُمْ وَالَّذِينَ شَرَّكُوا اللَّهَ بِشُرُكِيٍّ كَمَا شَرَّكَ اللَّهُ بِهِ فُعِلَ بِهِ مَا فَصَّلَ لَكُمْ فِي آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) ، ومن آخر الآيات

نزولاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٦) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٧) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٨) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (٩) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴾ (١٠) .^(١)

ومن النماذج الرائدة الذين عاشوا اليتيم عدد من صحابة الرسول ﷺ ، ومن هذه الفئة التي سنستعرضها الشخصيات الآتية^(٢) :

١. الزبير بن العوام بن خويلد القرشي :

حواري^(٤) الرسول ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم وهو حدث ، روى عدد من أحاديث المصطفى ﷺ ، شارك في المعارك والغزوات مع النبي عليه الصلاة والسلام وكان من أبرز قواده فيها ،

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .
 (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٧ .
 (٣) تنبيه : سنقتصر على التعريف الموجز بهؤلاء الأعلام ؛ لأن المقصد هنا هو ذكر أبرز المعالم في حياتهم ، وليس استقصاء كل ما ورد عنهم .
 (٤) الحواري : خاصة الإنسان وصفه المختص به ، يقول النبي ﷺ : « لكل نبي حواري ، وحواري الزبير » أي : خاصتي من أصحابي وناصري ، رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، مناقب الزبير ، رقم ٣٧١٩ ، ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، فضائل طلحة والزبير ، رقم ٢٤١٥ .

أسهمت والدته الجليلة الحازمة في تربيته فكان أول فارس سل سيفاً في سبيل الله ، وقد توفي عنها زوجها وترك لها الزبير طفلاً صغيراً فنشأته على الخشونة والبأس وربته على الفروسية ، له فضائل عظيمة في الإسلام ، قتل شهيداً رضي الله عنه في وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .^(١)

٢ . أبو هريرة :

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو هريرة رضي الله عنه الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات^(٢) ، عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس اليماني .

نشأ أبوهريرة يتيماً بعد وفاة والده وهو صغير ، وكان يرعى الغنم لقومه ، اشتهر بكنيته ، وبها عرف حتى غلبت على اسمه ، ويحدثنا رضي الله عنه عن سبب هذه التسمية فيقول : (إنما كنتوني بأبي هريرة لأني كنت أرعى غنماً لأهلي ، فوجدت أولاد هرة وحشية ، فجعلتها في كمي ، فلما رجعت إليهم سمعوا أصوات الهرة من حجري ، فقالوا: ما هذا يا عبد شمس ؟ ، فقلت : أولاد هرة وجدتها ، قالوا : فأنت أبوهريرة ، فلزمني بعد) .^(٣)

أسلم رضي الله عنه سنة سبع من الهجرة بين الحديبية وخيبر وكان عمره حينذاك نحواً من ثلاثين سنة ، ثم قدم إلى المدينة مع النبي ﷺ ، حين رجوعه من خيبر وسكن (الصّفة) أي في مسجد الرسول ﷺ التي كانت مأوى لفقراء الصحابة رضي الله عنهم ، ولازم الرسول ﷺ ملازمة تامة حتى وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكانت مدة صحبته للنبي ﷺ تزيد قليلاً عن أربعة أعوام .

وهذا الصحابي الجليل من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ببركة دعاء النبي ﷺ له ؛ روى له أئمة الحديث في كتبهم (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٤/١ .

(٢) هذا من كلام الإمام الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥٧٨/٢ .

(٣) المستدرک ، الحاكم ، رقم ٦١٩٧ ، ٦٤٥/٤ .

عن رسول الله ﷺ ، قال الإمام البخاري عنه : (روى عن أبي هريرة رضي الله عنه نحو ثمانمائة أو أكثر من طلاب العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره) .
توفي أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه في سنة ٥٨ هـ ، ودفن في المدينة .^(١)

٣. عمير بن سعد الأنصاري الأوسي :

تجرع الغلام عمير بن سعد طعم اليتيم والفاقة منذ نعومة أظفاره فقد مات والده وهو صغير ، ولم يترك له معيلاً ولا مالاً ، ولكن أمه ما لبثت أن تزوجت من ثري يدعى الجلاس بن سويد فكفل ابنها عمير وضمه إليه .

وقد لقي عمير من بر الجلاس وحسن رعايته ما جعله ينسى أنه يتيم وكان كلما كبر كلما ازداد به الجلاس إعجاباً لفطنته ونجابته وصفاته الحميدة التي تجلت في كل تصرفاته .

وقد أسلم عمير بن سعد وهو صغير لم يجاوز العاشرة من عمره ، وكان على صغر سنه لا تفوته الصلاة خلف رسول الله ﷺ ، وسارت حياة الغلام على هذا النحو هادئة وادعة حتى شاء الله أن يمتحنه امتحاناً عسيراً ؛ ففي السنة التاسعة من الهجرة أعلن الرسول ﷺ عزمه على غزو الروم في تبوك ، وأمر المسلمين أن يستعدوا ويتجهزوا للقتال .

وفي يوم من الأيام عاد عمير من المسجد إلى بيته وقد امتلأت نفسه بطائفة مشرقة من صور بذل المسلمين المال والأراضي وكذلك بذل النساء لخليهن كل هذا معونة للمسلمين في قتالهم ضد الروم ، ورأى عمير كل ذلك وتعجب من تباطؤ الجلاس عن البذل رغم قدرته ، ولذلك ذهب إليه وأخبره بما رأى في المسجد ، فرد عليه الجلاس قائلاً: إن كان محمد صادقاً فيما يدعيه من النبوة فنحن شر من الحمير ، فالتفت عمير إلى الجلاس وقال : والله يا جلاس ما كان على الأرض أحب إلي بعد محمد بن عبد الله منك فأنت آثر الناس عندي وأجلهم يداً عليّ ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك وإن

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٥٧٨/٢ .

أخفيتها خنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني وقد عزمت على المضى إلى رسول الله وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك.

ومضى عمير إلى المسجد وأخبر النبي ﷺ بما قال الجلاس فاستبقاه الرسول وأمر أحد أصحابه أن يدعوا الجلاس ، وما هو إلا قليل حتى حضر الجلاس ، فقال له النبي ﷺ : ما مقالة سمعتها من عمير بن سعد وذكر له ما قاله ، فقال الجلاس : كذب علي يا رسول الله وافترى ، فما تفوهت بشيء من ذلك .

والتفت الرسول ﷺ إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم والدموع تتحدر مدارراً من عينيه وتتساقط على خديه وصدره وهو يقول : اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به ، فانبرى الجلاس وقال: إن ما ذكرت لك يا رسول الله هو الحق ، وإن شئت تحالفنا بين يديك وإني أحلف بالله أنني ما قلت شيئاً مما ذكر لك عمير ، وما إن انتهى من حلفه وأخذت عيون الناس تنتقل إلى عمير بن سعد حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة فعرف الصحابة رضي الله عنهم أنه الوحي ، فلزموا أماكنهم وسكنت جوارحهم ولاذوا بالصمت وتطلعت أبصارهم إلى النبي ﷺ.

وهنا ظهر الخوف والوجل على الجلاس وبدا التلهف والتشوق على عمير وظل الجميع كذلك حتى سُري عن الرسول ﷺ ، فتلا قول الله تعالى: ﴿

كذلك حتى سُري عن الرسول ﷺ ، فتلا قول الله تعالى: ﴿

وكان يعقد لسانه من الجزع ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال : بل أتوب يا رسول الله ، بل أتوب ، صدق عمير يا رسول الله وكنث من الكاذبين ، يا رسول الله أسأل الله أن يقبل تويتي ، جعلت فداك يا رسول الله .

وهنا توجه الرسول ﷺ إلى الغلام عمير ودموع الفرح تبلبل وجهه فمد الرسول ﷺ يده الشريفه إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: وقت أذنك يا غلام ما سمعت وصدقت ربك .

وعاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه وقد عرف الصحابة صلاح حاله مما كان يغدقه على عمير من بر ، وكان يقول كلما ذكر عمير : جزاه الله عني خيراً فقد أنقذني من الكفر وأعتق رقبي من النار. (١)

وأما عمير رضي الله عنه فقد كان صاحب فضائل في الإسلام ؛ حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : (وددت لو أن لي رجلاً مثل عمير أستعين به على أعمال المسلمين) ، تولى قيادة عدد من الجيوش في زمن عمر رضي الله عنه كما تولى إمارة حمص ودمشق ، وروى الذهبي في سيره : (زُهاد الأنصار ثلاثة : أبو الدرداء ، وشداد بن أوس ، وعمير بن سعد) ، توفي عمير في الشام في آخر خلافة عمر رضي الله عنهم أجمعين. (٢)

* ثانياً : علماء عاشوا اليتيم :

وهذه الفئة خصوصاً من أكثر الفئات التي يوجد من بينهم الأيتام في الصغر ؛ ممن

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .
 (٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ص ٣٣٨ ، أسد الغابة ، ابن الأثير ، ٢٩١/١ .
 (٣) انظر : أسد الغابة ، ابن الأثير ، ١٤٣/٤ ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٥٥٧/٢ ، صور من حياة الصحابة ، الباشا ، ٤٢/٢ .

صنعوا لأنفسهم مجداً وذكرًا حسناً وعملاً عظيماً يتتابع عليهم من خلاله الأجر بإذن الله لهم بعد وفاتهم ، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علّمه ونشره .. »^(١)، وقال النبي ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »^(٢)، وفي هذين الحديثين دليل على استمرار الأجر وتتابعه لمن عمل عملاً خيراً أفاد من خلاله الآخرين ، نسأل الله الكريم لنا ولكم المزيد من فضله سبحانه وتعالى.

ومن النماذج الرائدة من العلماء الذين عاشوا اليتيم :

٤ . سفيان الثوري :

العالم الرباني الكبير سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد أئمة الإسلام وعُبادهم المكنى بأبي عبد الله الكوفي ولد بالكوفة عام ٩٧ هـ ونشأ بها . تلقى العلم وهو صغير فظهرت كفاءته وبان نبوغه في تلقي العلم والتعليم ، فهو فقيه العرب ، ومحدثهم ، وأمير المؤمنين في الحديث . وما كان ذلك العلم الشامخ ، والإمام الجليل إلا ثمرة لأم صالحة . بعد فضل المولى جل شأنه . ؛ حفظ لنا التاريخ مآثرها وفضائلها ومكانتها ، وإن كان ضن علينا باسمها . روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع - رحمه الله - قال : (قالت أم سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي) ؛ فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ؛ ليتفرغ للعلم، وكانت تتحوله بالموعظة والنصيحة ؛ قالت له ذات مرة : (يا بني إن كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك) .

(١) رواه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب ثواب معلم الناس الخير ، رقم ٢٤٢ ، وحسنه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجة ، رقم ٢٠٠ ، ٩٧/١ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، رقم ٤١٩٩ .

وكان يطبق على نفسه مقولته الشهيرة لتلاميذه من بعده : (تعلموا العلم ثم إذا تعلمتموه فاحفظوه فإذا حفظتموه فاعملوا به ثم إذا عملتم به فانشروه بين الناس) ، فكان رحمه الله آية في الحفظ ، ما استودع شيئاً قلبه إلا حفظه ، ولم يحتج إلى مراجعته مرة أخرى ، وإنه كان ليمر بالسوق فيسمع حذاء ونداء الباعة فيسد أذنيه حتى لا يحفظه إذا سمعه ، لذلك فلقد أجمع أهل العلم على أنه أحفظ العلماء بحديث رسول الله ﷺ ، ولقد تنقل بين البصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، والشام ، كلما دخل بلدًا اجتمع عليه طلبة العلم وأهل الحديث يسألونه ويسمعون منه وهو بجانب روايته للحديث يعلمهم دقائق الفقه والورع والزهد وتعظيم الله عز وجل ، أما عن ثناء أهل العلم عليه فهو كثير ، ومن ذلك فقد قال شعبة وأبو عاصم وابن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : (هو أمير المؤمنين في الحديث وأحفظ الناس للحديث) ، وبالجملة فقد كان علماً بارزاً من علماء هذه الأمة ، ويكفي أن نعرف أن عبد الله ابن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي والضحاك بن مزاحم على جلاله قدر هؤلاء العلماء الأفاضل كانوا من جملة تلاميذ سفيان الثوري رحمه الله ، توفي هذا الحبر الجليل في شهر شعبان لعام ١٦١ هـ في البصرة. (١)

فانظر رعاك الله إلى هذا العلم الجليل كيف ساد أهل زمانه في العلم بالدين وأحكامه وتذكر بدايته الضعيفة في اليتيم والفاقة والعوز ، وفي هذا أبلغ الأمثلة وأقوى الأدلة على أن اليتيم والفقر لا يحول بين الإنسان والتفوق والبروز.

٥ . القاضي أبو يوسف :

هو الإمام يعقوب بن إبراهيم الكوفي صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وأشهر تلاميذه ، وكان مع سعة علمه أحد الأجواد الأسخياء ، ومن أشهر تلاميذه: الإمام أحمد بن حنبل .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٢٢٩/٧ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٢٥٠/١ .

نشأ الإمام أبو يوسف حياة قاسية ؛ فقد عاش يتيماً فقيراً معدماً ؛ وبسبب هذه الحال المليئة بالمرارة اضطرت والدته لإدخاله إلى سوق العمل وطلب الرزق على الرغم من صغر سنه وقلة إدراكه ؛ فيقول رحمه الله عن نشأته : (توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي ، فأسلمتني إلى خياط أخدمه ، فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة ، فأجلس فيها ، فكانت أمي تتبعني ، فتأخذ بيدي من الحلقة ، وتذهب بي إلى الخياط ، ثم كنت أخالفها في ذلك ، وأذهب إلى أبي حنيفة لأسمع دروسه ، فلما طال بي ذلك عليها ؛ قالت لأبي حنيفة : إن هذا الصبي يتيم ، ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي . أي من عملها في الغزل . ، فدعه يكتسب دانقاً . مالاً . كل يوم ينفقه على نفسه ، فقال لها الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - : يا امرأة ! إني أرى في ابنك عقلاً ، وما يدريك أن يأتي عليه يوم يأكل فيه الفالوج بدهن الفستق ! . وهذه أكلة لم يكن يأكلها إلا السلاطين لغلاء ثمنها . ، يقول أبو يوسف : فواظبت على مجلس أبي حنيفة ، وفي أول يوم أتيته . بعد هذه المحادثة مع والدته . جلس معي حتى انصرف الناس ، فدفعت إلي صرة فإذا فيها مائة درهم ، وقال لي : الزم الحلقة ، وإذا نفدت هذه فأعلمني ، فلزمت مجلسه ، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدني ، فما ترك لي حاجة إلا قضاها ، فنفعني الله بعلمه وماله ...).

وصدقت فراسة أبي حنيفة رحمه الله إذ برز هذا الإمام على أقرانه في العلم والقضاء والحفظ والاجتهاد ، يقول الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - : (لا أعلم قاضياً كان إليه تولية القضاء في الآفاق من المشرق إلى المغرب إلا أبا يوسف في زمانه ، وهو أول من لقب بقاضي القضاة) .

ولقد كان هذا القاضي وفيماً مع شيخه وأستاذه الذي كان له فضل كبير في مسيرة حياته . بعد فضل الله تعالى . فقد كان يدعو له دبر كل صلاة بقوله : (اللهم اغفر لي

ولأبي حنيفة) ، توفي أبو يوسف رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة ١٨٢ هـ ودفن ببغداد.^(١)

٦ . الشافعي :

الإمام الحبر ، الفقيه البحر ، العالم النحرير ؛ الذي دانت له قطوف الحكمة ، ودانت له نواصي البلاغة ، وبرع في علوم شتى ، إنه محمد بن إدريس الشافعي القرشي الذي ملأ أقطار الأرض علماً وفقهاً وفضلاً ، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ .
توفي والده وهو جنين أو رضيع ، فتولته أمه بعنايتها ، فكان ثمرة . بعد فضل الله تعالى .
لهذه الأم الكريمة والفظنة ، التي أشرفت عليه بحكمتها ، وكانت امرأة من فضليات قبائل الأزد .

بعد وفاة والده انتقلت به والدته إلى مكة خوفاً عليه من الضياع وعمره سنتين فنشأ بها ، وحفظ القرآن في سن السابعة ، ثم حفظ موطأ الإمام مالك في سن العاشرة ، يقول الإمام عن تلك المرحلة المتقدمة من حياته : (كنت يتيماً في حجر أمي ، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب ، وأخفف عنه) ، ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه ، يقول ابن الربيع : (كان الشافعي يفتي وهو ابن خمس عشرة سنة) ، وهو أول من صنف في أصول الفقه ، وأول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه .

وقد أثنى عليه عدد من كبار علماء عصره ؛ فهذا الإمام أحمد بن حنبل يرى بأنه : (مجدد المائة الثانية) ، وقال عنه قتبية : (الشافعي إمام) ، وقال عنه الذهبي : (هو عالم العصر ، ناصر الحديث ، فقيه الملة) .

ويصف الإمام الشافعي نفسه بهذه الأبيات الجميلة التي تمتلئ عزة وثقة :

عليّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثر

(١) انظر : شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٢٩٨/١ .

وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أعز وأكبرا
توفي هذا العالم الإمام الحجة رحمه الله في شهر رجب من عام ٢٠٤ هـ في مصر ، وله
من العمر ٥٤ سنة. (١)

فانظر إلى هذه المكانة الجليلة التي نالها هذا الإمام القدير رحمه الله وقارن
بينها وبين حالته الأولى التي كان عنوانها القسوة والظنك ؛ حين ولد يتيماً فقيراً ،
حتى أنه لم يجد ثمن التعليم ، ولكنه صبر وصابر حتى تبدلت تلك الحال إلى
السعة والعزة والرفعة ؛ وصارت آراؤه وفتاويه في الفقه مذهباً ينتسب إليها إلى
اليوم فناماً عظيمة من أمة محمد ﷺ ، وإن في تبدل هذه الحال وتغيرها لذكرى
وعبرة لكل ذي لب فطن.

٧ . أحمد بن حنبل:

الإمام القدوة ، والعلم الصفوة ، شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ،
ولد سنة ١٦٤ هـ في بغداد ونشأ بها ، مات والده وهو حمل في بطن أمه .
عاش رحمه الله حياة مليئة بالفقر والحاجة ، ومع ذلك فإن والدته هيأته للعلم
والتصدر فيه ؛ وكان لها أثر عظيم في تربيته ومتابعته وإعداده ، وينقل لنا رحمه الله
جانباً من طريقتها في تربيته وتعليمه بقوله : كانت توقظني قبل صلاة الفجر بوقت
ليس بالقصير وتدفع لي الماء في الشتاء ، وتلبسني اللباس ، ثم نصلي أنا وإياها ما شئنا
- من صلاة التهجد . ، ثم نطلق إلى المسجد وهي محتمرة ؛ لأن الطريق كان بعيداً
مظلماً موحشاً لتصلي معي صلاة الفجر في المسجد ، وكان عمره حينها عشر سنوات
وتبقى معي حتى منتصف النهار . تنتظر فراغه من طلب العلم وحفظ القرآن في المسجد
. ، ويقول : فلما بلغت الخامسة عشرة سنة ؛ قالت: سافر لطلب الحديث فإن طلب
الحديث هجرة في سبيل الله ، وأعدت له بعض متاع السفر من أرغفة الشعير وبعض

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٦/١٠ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٩/٢ .

مستلزمات السفر ، ثم قالت: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه ، فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه ، فذهبت من عندها إلى المدينة وإلى مكة وإلى صنعاء .
ولم تتوقف هذه المعاناة والحاجة عند هذا الحد ؛ بل إنه يذكر أن العوز والفاقة استمرت معه حتى بعد زواجه ، وفي ذلك يقول مخاطباً ابنه صالح : (كانت أمك تغزل غزلاً دقيقاً ، فتبيع الأستار بدرهمين أو نحوه ، فكان ذلك قوتنا).
وكان رحمه الله عالماً بارزاً في العلوم الشرعية ، وخصوصاً في الفقه والحديث ، ومن كتبه : المسند الذي يحوي نيفاً وأربعين ألف حديث ، وإلى هذا الإمام ينسب المذهب الحنبلي .

وتذكر بعض المصادر أنه كان يزيد عدد حضور دروسه في بغداد عن خمسة آلاف في أحيان كثيرة ؛ ويبلغ عدد الذين يكتبون معه منهم زهاء خمسمائة طالب علم .
وقد أكثر علماء عصره من الثناء عليه وبيان فضائله ، ومن ذلك : أن الإمام عبدالرزاق الصنعاني . وهو أحد شيوخه . قال عنه : (ما رأيت أحداً أفقه ولا أروع منه) ، وقال عنه محمد بن نصر المروزي : (أحمد فاق أهل زمنه) ، وقال النسائي : (جمع المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر) ، وقال عنه الشافعي : (خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أروع ولا أزهد ولا أعلم ولا أحفظ من ابن حنبل).

توفي الإمام أحمد رحمه الله في شهر ربيع الأول لعام ٢٤١ هـ .^(١)

فانظر إلى هذه السيرة العطرة والحياة الحافلة التي كان مبدؤها يمتلئ بالحزن والأسى ويعتريها الفقر والحاجة ؛ ولكن الأم الجادة والحازمة أعدته . بعد توفيق الله تعالى . لهذه المكانة التي صار إليها بعد سني حياته الأولى الشاقة والمتعبة .

ولهذا نقول ينبغي علينا جميعاً أن نضع نصب أعيننا في هذه الحياة : أن كمال النهاية وعزها ورفعتها وشرفها يُنسى تعب البداية ونصبها وتعبتها ؛ فالبداية مهما كانت ضعيفة وقاصرة وشاقة فإن العبرة بكمال النهاية ، وذلك يتطلب الجهد

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٧٨/١١ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٩٦/٢ .

والمداومة في العلم والعمل والثبات على ذلك ؛ فحينئذ نحقق ما نصبو إليه
بإذن الله من خيري الدنيا والآخرة .

٨ . البخاري :

حبر الإسلام ، وحافظ السنة ، صاحب الصحيح والتصانيف الجامعة ، الإمام أبي
عبدالله محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، توفي والده وهو صغير
، فكفلته والدته بالرعاية والحفظ . بعد حفظ الله وتوفيقه له . .
بدأ بطلب العلم صغيراً ؛ يقول عن نفسه : (أُهِمَّتْ حِفْظَ الْحَدِيثِ وَأَنَا فِي الْكُتُبِ ، .
وعمره إذ ذاك عشر سنين أو أقل . ، ويقول : انتقلت بعد الكُتُبِ إلى الأخذ من
العلماء ، ويروي حادثة له في بداية طلبه للعلم تدل على قوة حفظه ودقته وبراعته على
الرغم من حداثة سنه ؛ فيقول : جعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما
كان يقرأ للناس : عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت له : إن أبا الزبير لم يرو
عن إبراهيم فانتهرني ، فقلت له : ارجع إلى الأصل ، فدخل فنظر فيه ، ثم خرج ، فقال :
كيف هو يا غلام ؟ ، قلت : الزبير بن عدي عن إبراهيم فأخذ القلم مني وأحكم كتابه
، وقال : صدقت ، فقيل له : ابن كم كنت حين رددت عليه ؟ ، قال : ابن إحدى عشرة
سنة .)

ويحدثنا رحمه الله عن قصة جمعه للجامع الصحيح الذي يعرف بـ : **صحيح البخاري**
؛ فيقول : (كنت عند إسحاق بن راهوية ؛ فتحدث بعض أصحابنا : لو جمعتم كتاباً
مختصراً لسنن النبي ﷺ ، فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب ، وأخرجته
من زهاء ستمائة ألف حديث) ، ويقول : (ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا
اغتسلت قبل ذلك ، وصليت ركعتين) ، فكان رحمه الله عابداً زاهداً ورعاً ، عفيف
اللسان ، يدل على ذلك قوله : (أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أبي اغتبت أحداً) .

وقد أثنى عليه عدد من علماء الإسلام المعاصرين له ؛ وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل : (ما أخرجت خراسان مثله) ، وقال حاتم بن منصور : (هو آية من آيات الله في بصره ونفاذه من العلم) .

توفي هذا العلم الجليل ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ ، قرب سمرقند .^(١)

وتبين لنا من سيرة الإمام البخاري رحمه الله أبلغ الشواهد التي نسوقها للتأكيد على ما نحن بصدده ؛ بأن اليتيم والضيق في الصغر ليس مانعاً من علو المكانة والرفعة ليس في زمن هذا اليتيم فحسب ، بل يستمر الثناء عليه وذكره الحسن ما دام أنه قدم في حياته عملاً جميلاً يذكر به ؛ وهذا ما ندركه في حياة هذا الإمام الذي كان أحد الرواد الكبار الذين خدموا دين الإسلام وجمعوا أقوال سنة النبي ﷺ وحافظوا عليها من الضياع والانقراض ، وقدموها للأجيال المتعاقبة ؛ فرحم الله الإمام البخاري ونفعنا بما في سيرته ومؤلفاته من الخير العميم .

٩. ابن الجوزي :

الواعظ الشهير الحافظ والمفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الجوزي القرشي ، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد ابن الجوزي سنة ٥١٠ هـ ، ومات أبوه وعمره ثلاثة أعوام ، فربته عمته ، وكان أعمامه تجاراً في النحاس ، لذلك عرف في شبابه بعد الرحمن الصّفار أي النّحاس ، فلما ترعرع جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الواعظ الحافظ فلزمه ابن الجوزي وقرأ عليه وسمع منه ، وكان ابن الجوزي في صباه لا يخالط أحداً ، ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يلعب مع الصبيان ، وكان ذو همة عالية وطموح شديد للعلا.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٩١/١٢ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ١٣٤/٢ .

وقد نالت مجالسه الوعظية شهرة وحضوراً كبيراً ؛ فكان يحضر عنده الخلفاء والوزراء والأمرء والعلماء وعامة الناس ، وقد بلغت مصنفاته أكثر من مائتين وخمسين كتاباً في شتى فروع العلوم .

قال عنه موفق الدين المقدسي : (كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة ...).

توفي ابن الجوزي رحمه الله في شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ ، وله من العمر سبع وثمانون سنة .^(١)

١٠ . ابن حجر العسقلاني :

الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر قوم في جنوب مصر ، ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ ، مات والده وهو حدث ، فكفله أحد أوصياء والده ؛ ويدعى : زكي الدين الخرنوبي من تجار مصر ، فاهتم بتربيته وتعليمه ؛ وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وعندما أراد هذا الوصي الحج سنة ٧٨٤ هـ اصطحب معه ابن حجر ، فمكث ذلك من دراسة الحديث بمكة المكرمة ، وهو في سن الثانية عشر من عمره ، ولما عاد إلى القاهرة درس على يد جماعة كبيرة من علماء عصره وفي مقدمتهم شمس الدين القطان .

وقد درس ابن حجر الفقه واللغة وعلوم القرآن وشغف بالحديث ، وتولع بنظم الشعر حتى برع فيه ، ثم رغب في الاستزادة من العلم فرحل في طلبه إلى القاهرة ومكة واليمن . كان من كبار فقهاء المذهب الشافعي ، وقد تولى القضاء زمناً طويلاً في مصر ، ورحل إليه طلاب العلم من الأقطار ليأخذوا عنه ، ومن مؤلفاته : شرح صحيح البخاري المسمى فتح الباري في عدة مجلدات ، و تحاف المهرة بأطراف العشرة ، والإصابة في تمييز الصحابة ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، وغيرها كثير .

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٦٥/٢١ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٣٢٩/٤ .

يقول عنه ابن العماد الحنبلي : (علامة العلماء ومحبي السنة ، وهو المعول عليه في معرفة الرجال في زمنه) ، توفي رحمه الله في شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ ودفن بالرميلة في مصر .^(١)

١١- السيوطي :

الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد ، ولد سنة ٨٤٩هـ في أسيوط في مصر ، وتوفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر ، وقد وصل إذ ذاك إلى سورة التحريم ، وختم القرآن وله من العمر دون ثماني سنين ، ثم شرع في طلب بقية العلوم ، يقول عن نفسه : (نشأت يتيماً ، فحفظت القرآن الكريم ، ولي دون ثماني سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول ، وألفية ابن مالك ، وشرعت في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة أربع وستين وثمانمائة).

ثم يتابع السيوطي حديثه عن نفسه بقوله : (وشرعت في التصنيف إلى أن بلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب ، وسافرت إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ، ورزقت التبخر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة).

مؤلفات هذا العالم الكبير نافعة جامعة تزيد على الخمسمائة مؤلف ، وكان يقضي جل وقته في ذلك ؛ حتى إن بعض المصادر تذكر أنه اعتزل الناس وترك التدريس والإفتاء لما بلغ الأربعين ، واشتغل بالتأليف والتحرير ، توفي رحمه الله في شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ ودفن في القرافة بمصر.^(٢)

وربما تقول أيها القارئ الكريم : أولئك الذين مرَّ ذكرهم من السلف الأوائل ،

(١) انظر: الضوء اللامع، السخاوي، ٣٦/٢ ، شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٢٧٠/٧ .

(٢) انظر: شذرات الذهب ، ابن العماد ، ٥١/٨ ، الكواكب السائرة ، ٢٢٦/١ .

وأن الزمن قد تغير ، والظروف قد تبدلت ؛ وإجابة لذلك نقول : إليك هذه الأمثلة لعدد من أئمة العلم ، والفضل ، والزهد ، والتقوى من العلماء المعاصرين ؛ ونذكر النماذج الآتية منهم على سبيل المثال لا الحصر ؛ إذ الأمثلة في هذا السياق لا تكاد تنقضي ؛ فالخير باق في هذه الأمة إلى قيام الساعة - والله الحمد - :

١٢- الشيخ عبد الله العنقري :

الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن العنقري من قبيلة بني تميم ، ولد في ثرمداء قرب شقراء سنة ١٢٩٠هـ ، توفي والده وعمره سنتان ، فنشأ في حجر والدته وأعمامه ولما بلغ السابعة فقد بصره بعد إصابته بمرض الجدري ، فرعته إحدى عماته وجعلته عند مقرئ القرآن في البلدة فحفظ القرآن واتجه لطلب العلم ، ولما بلغ السادسة عشرة سافر إلى الرياض فطلب العلم على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ، والشيخ حمد بن فارس وغيرهما .

عينه الملك عبدالعزيز رحمه الله قاضياً في الجمعة وسدير وغيرها ، وزادت مدة ولايته للقضاء عن ثلاثين سنة ، وله عدة رسائل ومؤلفات ، توفي رحمه الله في شهر صفر سنة ١٣٧٣هـ .^(١)

١٣. الشيخ عبد الرحمن السعدي :

الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ويعود نسبه إلى قبيلة بني تميم ، ولد رحمه الله في عنيزة سنة ١٣٠٧هـ ، توفيت والدته وهي من أسرة ابن عثيمين وعمره أربع سنين ، ثم توفي والده وعمره سبع سنين ، فكفلته زوجة والده فرعته وأحبتة ، حفظ القرآن قبل الثانية عشرة ، له جهود عظيمة في التعليم والتأليف في التفسير والفقهاء والأصول والعقيدة والثقافة الإسلامية ، ويزيد عدد كتبه عن أربعين كتاباً ، ومن أبرزها : تفسير القرآن

(١) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ٢٦٥/٤ .

المسمى : تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان ، ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، توفي رحمه الله في شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٧٦ هـ. (١)

١٤. الشيخ عبد الله القرعاوي :

الشيخ عبدالله بن محمد بن حمد القرعاوي من قبيلة عنزة ، ولد في شهر ذي الحجة عام ١٣١٥ هـ بمدينة عنيزة ومات أبوه وجدته وهو في بطن أمه بينهما شهر واحد ، فنشأ في حجر أمه يتيماً فقيراً ، وبعد أن بلغ سن الرشد تعلم القرآن في مدينة عنيزة ، وذكر رحمه الله : أن أمه كانت امرأة صالحة تدرسه القرآن بالبيت ، وأنها كانت تحتم القرآن مرتين في الشهر.

ولما بلغ رشده سافر لطلب الرزق ؛ نظراً لضعف حاله ، فاشتغل بالتجارة في الإبل ، فكان يشتري الإبل من الأحساء والقصيم والكويت ، ثم يبيعها في بلاد الشام وغيرها.

ولكن الله عز وجل هياه لأمر أعظم وأجل من هذه المهنة ؛ فسافر إلى الهند لطلب العلم وعمره ثلاثون عاماً أي في سنة ١٣٤٥ هـ ودرس بمدرسة «الرحمانية» بدلهي للمرة الأولى وأقام فيها عشرة أشهر أو أكثر من ذلك ، ثم ذكر أن أمه أرسلت إليه خطاباً تطلب فيه حضوره ، فسافر حال وصول خطابها إليه ، ولما وصل عنيزة فإذا هي قد ماتت قبل وصوله بأيام رحمها الله ، وذكر: أنه أقام بعنيزة سبعة أيام ، ثم طلب العلم في الرياض على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبدالله بن سليم ، والشيخ عبدالعزيز بن بشر ، والشيخ محمد بن مانع بقطر .

وأثناء مكوثه لطلب العلم عند الشيخ محمد بن إبراهيم يسمع من الدعاة الذين يبعثهم الشيخ الأبحار المتردية للحالة الدينية التي كانت سائدة في جنوب المملكة ، عند ذلك بدأ يفكر بالدعوة إلى الله في تلك الجهات .

(١) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ٢١٨/٣ .

فاستعان بالله وتوجه في شهر صفر من عام ١٣٥٨هـ وعمره يزيد عن الأربعين عاماً من مكة المكرمة إلى منطقة جيزان ؛ وبدأ يدرس الطلبة القرآن والتوحيد والحديث والفرائض والتجويد والنحو والخط والحساب.

وتعرض لعقبات عديدة ولكن حكمة الشيخ وصبره بعد توفيق الله له ثم دعم الملك عبدالعزيز ومن بعده الملك سعود وإمدادهما للشيخ بالمعونات والصلاحيات ، لذلك استمر أثر دعوته وإقبال الناس عليه والله الحمد .

وقد بلغت المدارس التي قام الشيخ بفتحها والإشراف عليها عام ١٣٦٠هـ خمسين مدرسة ، ثم في عام ١٣٦١هـ تضاعفت حتى بلغت مئتي مدرسة ، ثم لما استلمت وزارة المعارف الإشراف على هذه المدارس في أواخر السبعينات للهجرة كان عددها يزيد عن ألفين ومئتين وخمسين مدرسة للطلاب والطالبات في منطقة عظيمة ممتدة من جنوب الطائف وحتى الحدود مع اليمن يزيد عدد طلابها وطالباتها عن خمس وسبعين ألف طالب وطالبة .

وقد توفي الشيخ رحمه الله في الرياض بعد نقله مريضاً من صامطة في شهر جمادى الأولى عام ١٣٨٩هـ. ^(١)

وإن في حياة هذا الشيخ لمُعْتَبَر ؛ فمن يتيم ضعيف الحال إلى رجل عظيم كان له فضل كبير . بعد فضل الله . على نشر العلم والدين الصحيح في أوساط قبائل ومدن ومناطق عديدة ، وإحيائها بأنوار التوحيد بعد أن كانت غارقة بظلمات الخرافة والشرك والبدعة ؛ ولذا نذكر كل يتيم بقول الله تعالى : ﴿

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٦١﴾

↑ .^(٢)

(١) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ٣٩٨/٤ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ٦١ .

١٥- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ويعود نسبه إلى قبائل حمير القحطانية ، ولد سنة ١٣٢٥هـ في شنقيط بموريتانيا ، توفي والده وهو في سن التمييز ، فنشأ عند أمه في بيت أخواله ، فحفظ القرآن وعمره عشر سنين ، له جهود عظيمة في التعليم والتأليف ، ومن أبرز مؤلفاته : تفسير القرآن المسمى أضواء البيان .

تولى القضاء في موريتانيا ، ثم قدم إلى المملكة عام ١٣٦٥هـ حاجاً فتعرف عليه علماء المملكة وأعجبوا بعلمه ، فعرض عليه الانتقال إلى المملكة للتدريس ؛ فدرس في معهد الرياض العلمي عند افتتاحه سنة ١٣٧٠هـ ثم في كلية الشريعة ، وكذلك كان يقوم بالتدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم ، وتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعاصرين .

توفي رحمه الله في شهر ذي الحجة من عام ١٣٩٣هـ في مكة المكرمة .^(١)

١٦. الشيخ حمود التويجري :

الشيخ حمود بن عبدالله بن حمود التويجري من قبيلة عنزة ، ولد في الجمعة عام ١٣٣٤هـ نشأ يتيماً ؛ حيث توفي والده وعمره ثمان سنين ، وحفظ القرآن ولم يبلغ الحادية عشرة ، لازم حلقة الشيخ عبدالله العنقري قرابة خمس وعشرين سنة ، تولى القضاء في عدد من بلدان نجد ، وله أكثر من خمسين كتاباً ورسالة ، توفي رحمه الله في الرياض في شهر رجب سنة ١٤١٣هـ .^(٢)

١٧. الشيخ عبد العزيز بن صالح :

(١) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ٣٧١/٦ .
 (٢) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ١٤٠/٢ .

الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن ناصر آل صالح من قبيلة عنزة ، ولد في الجمعة سنة ١٣٢٩ هـ ، توفيت والدته وهو ابن سنتين ، ثم توفي والده وعمره خمس سنين ، فنشأ يتيم الأبوين ، فكفله أخوه عثمان وعني به عناية خاصة ، حفظ القرآن في صغره، ثم طلب العلم وبرز فيه على يد الشيخ عبد الله العنقري وغيره ، تولى القضاء ورئاسة المحاكم في المدينة النبوية منذ عام ١٣٧٤ هـ ، وتولى إمامة المسجد النبوي والخطابة فيه قرابة خمسين سنة ، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة ، وعضواً في مجلس القضاء الأعلى ، توفي رحمه الله في شهر صفر سنة ١٤١٥ هـ .^(١)

١٨ . الشيخ عبد الله بن محمود :

الشيخ عبدالله بن زيد بن عبدالله آل محمود يعود نسبه إلى قبيلة قريش ، ولد في حوطة بني تميم سنة ١٣٢٩ هـ ، توفي والده قبل بلوغه فكان خاله حسن الشثري وصياً عليه ، حفظ القرآن وهو صغير ، وكان شغوفاً بالعلم ، قدمه شيوخه للصلاة بالناس في التراويح ولما يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ؛ نظراً لفطنته ونباهته وتفوقه .
وبناء على موافقة الملك عبدالعزيز لطلب حاكم قطر آنذاك الشيخ عبدالله آل ثاني انتقل الشيخ إلى قطر لتولي القضاء هناك في أواخر عام ١٣٥٩ هـ ، فأسس القضاء الشرعي بها وتولى بناء المساجد هناك والدعوة والإرشاد والإفتاء فنفع الله به ، له أكثر من عشرين مؤلفاً ، توفي رحمه الله في شهر شوال سنة ١٤١٧ هـ في قطر .^(٢)

١٩ . الشيخ عبد العزيز بن باز :

العلامة الحبر البحر الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز ، ولد في مدينة الرياض عام ١٣٣٠ هـ ، توفي والده وعمره ثلاث سنين ، فعاش يتيماً في حجر والدته

(١) انظر : المرجع السابق ، ٣/٣٩٦ .
(٢) انظر : علماء نجد ، ابن بسام ، ٤/١٢٠ .

التي رعته وربته وكان لها فضل بعد الله في تربيته وفي غرس الصفات الحميدة فيه ، وكان ضعيف البنية في صغره ؛ حيث لم يستطع المشي إلا بعد أن بلغ الثالثة من عمره ، وقد طلب العلم قبل البلوغ ، وفقد بصره قبل بلوغه العشرين ، وتحديدًا في عام ١٣٥٠ هـ ، ولم يثنه ذلك عن طلب العلم حتى صار إمام عصره .

تولى مناصب عدة في القضاء والتعليم والإفتاء ؛ حيث تولى القضاء في الدلم لأكثر من خمسة عشر عاماً ، ثم تولى التدريس في معهد الرياض العلمي بعد إنشائه سنة ١٣٧١ هـ ، وفي عام ١٣٨١ هـ انتقل إلى المدينة النبوية ليعمل نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية ، ثم صار رئيساً لها عام ١٣٩٠ هـ ، وفي عام ١٣٩٥ هـ نقل إلى الرياض وعين رئيساً لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، وفي عام ١٤١٤ هـ عين مفتياً عاماً للمملكة ، له مؤلفات عديدة وآثار علمية جلييلة يصعب حصرها .

توفي الشيخ رحمه الله في شهر محرم من عام ١٤٢٠ هـ في مدينة الطائف ، بعد أن خلف سيرة عطرة ، وذكرًا أطيّب من ربح المسك ، وملاً الدنيا علماً وفضلاً ، وإصلاحاً^(١).

٢٠ . الشيخ عبد العزيز السلطان :

الشيخ الفقيه عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن السلطان ، ولد في عنيزة سنة ١٣٣٧ هـ أو ١٣٣٩ هـ ، توفي والده وهو صغير فكفلته أمه واعتنت به ، حفظ القرآن صغيراً ، ثم تعلم مبادئ العلوم ، وبعد ذلك اتجه إلى الاشتغال بالتجارة وفتح محلاً في عنيزة يقوم فيه بالبيع والشراء ، فلم يوفق فيه فاتجه إلى طلب العلم .

فتعلم على يد الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في جامع عنيزة الكبير ، ولازم شيخه ستة عشر عاماً إلى سنة ١٣٦٩ هـ .

(١) انظر : جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز ، الحمد ، ص ٣٣ .

ثم انتقل إلى الرياض وتعين في المعهد العلمي بالرياض إبان إنشائه سنة ١٣٧٠هـ بترشيح من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم ، وهذا دليل على كفاءته العلمية ثم مدرساً في معهد إمام الدعوة حتى تقاعده سنة ١٤٠٤هـ ، وقد واصل حياته في العلم والتعليم وبذل جهده في التأليف وتوزيع مؤلفاته على الناس بالمجان ، توفي رحمه الله في شهر صفر لعام ١٤٢٢هـ .^(١)

. دروسٌ مستفادةٌ وعبرٌ مستقاةٌ :

الأمثلة التي مرت معنا لبعض العلماء الأفذاذ والقادة الكبار والأدباء المشاهير الذين كانوا أيتاماً لم يكونوا أبداً على هامش التاريخ ، فقد حرصنا على أن يكون اختيار هذه الشخصيات من بين الأسماء التي يتردد صداها بيننا ونسمع بها في مجالسنا المختلفة، ونجزم أنه يوجد من مشاهير العلماء والوجهاء ما لا يمكن حصره ، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) انظر : المجلة العربية ، ربيع الآخر ، ١٤٢٢هـ ، ص ٢٢ .

وفي نهاية هذه الوقفات مع تراجم هؤلاء الأعلام نُذكر ببعض الدروس المستفادة والعبر المستخلصة والفوائد المستقاة من ذلك :

١- أن اليتيم لا يحجز المرء عن بلوغ أعلى المراتب ، وليس الأب في كل الأحوال سبباً في نبوغ الابن وتفوقه ، بل إن بعض الآباء قد يكون سبباً في تعطيل قدرات أبنائهم ، أو في انحرافهم ، إما بسوء التربية والتوجيه ، أو بالتخلي عنهم ، أو الانشغال عنهم في سبيل تحقيق مكاسب دنيوية .

٢- أن المجتمع المسلم يقدم من الرعاية والإحسان إلى الأيتام ما لا يوجد له مثيل في غيره من المجتمعات ، ويشهد لذلك العديد من العلماء والوجهاء الذين كانوا أيتاماً ، وكان لهم شأن كبير في المجتمع فيما بعد .

٣- أن الأيتام لا ينبغي أن يشعروا إطلاقاً أنهم فئة ضعيفة في المجتمع ، ولا ينبغي أن يقتصر القائمون على الأيتام بالشفقة عليهم ، بل يؤدبونهم أحسن تأديب ويعلمونهم أحسن تعليم .

٤- أن يسعى المربون إلى تقريب النماذج - من اليتامى - من عظماء الإسلام لهم ليقتدوا بهم ويتأسوا بفعلهم .

٥- أهمية تعزيز الوعي الشرعي عن كفالة الأيتام كفالة حسية ومعنوية ، وهذه الصور الرائدة التي ذكرت تبين أن أقارب الأيتام ومعارفهم وأولياؤهم كانوا يتسابقون على برهم والإحسان إليهم ؛ حيث يقوم بذلك الأخ أحياناً ، أو العم ، أو الخال ، أو زوج الأم ، أو العمة ، أو الخالة ، أو زوجة الأب ، أو الوصي ، أو العالم ، وهذا يبين ترابط المجتمع المسلم ومحفته للإحسان والخير .

وما يدري المرء من أين يأتيه الخير ؛ فلعل هذا اليتيم الضعيف الذي تقوم بتربيته وتعليمه اليوم يكون من أصحاب الشأن في الغد ؛ والشواهد التي ذكرناها تؤكد بقوة على هذا الأمر .

- ٦ . أهمية حفظ القرآن الكريم ودوره في حفظ هؤلاء الأيتام ، حيث كان القرآن العظيم هو الزاد الأول لهؤلاء .
- ٧ . أهمية دور الأم في التربية والتوجيه ، إذ لاحظنا كيف كانت الأم سبباً . بعد توفيق الله تعالى . إلى تفوق هؤلاء الأعلام وبروزهم .
- ٨ . أن من العلماء من فقدوا مع آبائهم في الصغر نعمة البصر ؛ فاجتمع عليهم اليتيم والعمى ، ومع ذلك بلغوا ما بلغوه من العلم والجاه ، وتقلدوا المناصب الدينية وفاقوا أقرانهم وإخوانهم .
- ٩ . كذلك اجتمع مع أكثرهم بالإضافة إلى اليتيم ضعف الحياة المادية وشدة الفقر والعوز ؛ وهذا أيضاً لم يكن مانعاً لهم من البروز والتفوق .
- هذه أبرز الدروس والفوائد التي نحب أن نذكر بها ؛ وظهرت واضحة جليلة في معرض استعراضنا لهذه الشخصيات الجليلة .

. خاتمة وأمل :

هذه نماذج عطرة ، وصور مشرقة من سيرة السلف والخلف ، تأخذ بالألباب ، وتثير في النفس دواعي الإعجاب .

ماتوا جميعاً وما ماتت فضائلهم بل كان فضلهموا للناس يُكتسبُ

ومن هنا نقول وبصوت عالٍ لكل يتيم ویتيمة أن بإمكانكم أن تكونوا مثلهم ؛
فتقدموا الخير لدينكم وبلدكم ، وتخلدوا الذكر الحسن لكم ولوالديكم ولأسركم .
ونقول مرة أخرى بقوة وثبات : إننا متفائلون بإذن الله من خلال التذكير بهذه
النماذج لإحداث نقلة متميزة في حياة كل يتيم ویتيمة ، فالمسلم لا ييأس ، ولا ينبغي له
ذلك ، فالذي أصلح السلف قادر على إصلاح الخلف ، وهذه الأمة كالمطر ، والخير
في أولها وآخرها.

ويا معشر الآباء والأمهات والمربين والأساتذة :

شمروا عن ساعد الجد ، واقدحوا لتربية هؤلاء الأيتام الزند ، واستفرغوا لذلك الطاقة
والجهد ، وتذكروا أن من أبرز الأسباب التي كانت حاضرة في سير هؤلاء الأعلام الذين
ذكرناهم أن من كان وراءهم من الآباء أو الأمهات أو الأساتذة كانوا سبباً مباشراً في
وصولهم إلى تلك المقامات الرفيعة ، فاتقوا الله فيمن تحت أيديكم وحفزوهم لنيل
الدرجات العالية .

ثم ضعوا أنفسكم موضع الشاعر الذي قال عند موته :^(١)

وإنما حزني في صبية درجوا	غُفِلَ عن الشر لم توقد لهم نارُ
قد كنت أرجو زماناً أن أقودهم	للمكرمات فلا ظلم ولا عارُ
والآن قد سارعتُ دربي إلى كفينِ	يوماً سيلبسه بر وفجارُ
بالله يا صبيتي لا تهلكوا جزعاً	على أبيكم طريق الموت أقدارُ
تركتكم في حمى الرحمن يكلؤكم	من يحمه الله لا تدركه أوزارُ
وأنتم يا أهيل الحي صبيتكم	أمانة عندكم هل يهمل الجارُ ؟

فلنجتهد برعاية هؤلاء الأيتام الذين هم تحت أيدينا ونحسن الظن بهم ، ونتذكر دائماً

وأبداً قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِئاً وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ الْغُيُوبُ ﴾
﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِئاً وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ الْغُيُوبُ ﴾
﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِئاً وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ الْغُيُوبُ ﴾

(١) هذه الأبيات ضمن قصيدة للشهيد مصطفى السباعي رحمه الله ، بعنوان : « وداع راحل » ، شعراء الدعوة الإسلامية ،
٤٦/٢ .



وفي الختام نقول لكل يتيم ویتيمة : هذه سير هؤلاء العظماء الأفاضل الذين عاشوا الیتيم ، فأین أنتم من هؤلاء ؟.

وحرری بكم أن تفتدوا بهم ...

إذا أعجبتك خصال امرئ فكُنه يَكُن منك ما يُعجبك

فليس على الجُود والمكرّمات إذا جئتها حاجباً يحجبك

وفقنا الله وإياكم لكل وخير وصلاح ، وهو المسؤول سبحانه أن يغفر لنا ولكم الزلات ويتجاوز بعفوه ورحمته عن السيئات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

المراجع والمصادر

(١) سورة النساء ، الآية :٩.

١. القرآن الكريم .
٢. أحكام القرآن ، ابن العربي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بدون سنة الطبع ، تخريج محمد عطا .
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، بيروت ، دار إحياء التراث ، بدون سنة طبع .
٤. البداية والنهاية ، ابن كثير ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ .
٥. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٦ هـ .
٦. تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان ، الشيخ ابن سعدي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ .
٧. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٤ هـ .
٨. جوانب من سيرة الإمام ابن باز ، الشيخ محمد الحمد ، الرياض ، دار ابن خزيمة ، ١٤٢٢ هـ .
٩. حقوق اليتامى كما جاءت في سورة النساء ، د. إبراهيم الاحم ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٢٣ هـ .
١٠. رعاية الأيتام في المملكة ، عبدالله السدحان ، مطبوعات مؤتمر مرور مائة عام على تأسيس المملكة ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .
١١. السنن ، لأبي داود السجستاني ، الرياض ، دار السلام للنشر ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
١٢. السنن ، لابن ماجة القزويني ، الرياض ، دار السلام للنشر ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
١٣. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ .
١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩ هـ .
١٥. شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، أحمد عبداللطيف وزميله ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ .
١٦. صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ودار الفكر ، رقم أبوابه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقرأ أصله الشيخ عبدالعزيز بن باز ، بدون سنة طبع .
١٧. صحيح الإمام مسلم المطبوع مع شرح النووي ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ ، تحقيق خليل شيحا .
١٨. صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الشيخ محمد الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
١٩. صحيح سنن أبي داود ، الشيخ محمد الألباني ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
٢٠. صحيح سنن ابن ماجة ، الشيخ محمد الألباني ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
٢١. صور من حياة الصحابة ، عبدالرحمن رأفت الباشا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨ هـ .
٢٢. الضوء اللامع ، السخاوي ، بيروت ، دار العلم ، ١٤٠٨ هـ .

٢٣. علماء نجد خلال ستة قرون ، الشيخ عبدالله بن بسام ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٩ هـ.
٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار الفكر ، بدون سنة طبع.
٢٥. فيض القدير ، المناوي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥ هـ.
٢٦. لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، بدون سنة طبع.
٢٧. المجلة العربية ، ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ ، الرياض .
٢٨. مختار الصحاح ، الرازي ، بيروت ، دار لبنان ، ١٩٨٦ م .
٢٩. المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، وطبع معه: تلخيص الذهبي ، وكتاب الدرك بتخريج المستدرك..، اعتنى به عبد السلام علّوش.
٣٠. المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨ هـ ، تحقيق الأرنؤوط وآخرين.
٣١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، تركيا ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨٢ م.
٣٢. المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرين ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، بدون سنة طبع.
٣٣. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، الرياض ، العدد ٢٤ ، ١٤١٥ هـ .
٣٤. نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، البقاعي ، بيروت ، التراث الإسلامي ، ١٤١٢ هـ.



فهرس المحتويات

.....	المقدمة
.....	التعريف اللغوي والشرعي لليتيم
.....	اليتيم في التشريع الإسلامي
.....	سيد الخلق ﷺ يتيماً

- أسباب مهمة في حياة اليتيم
- صحابة عاشوا مرحلة اليتيم
- ١. الزبير بن العوام
- ٢. أبو هريرة
- ٣. عمير بن سعد
- علماء عاشوا اليتيم
- ٤. سفيان الثوري
- ٥. القاضي أبو يوسف
- ٦. الشافعي
- ٧. أحمد بن حنبل
- ٨. البخاري
- ٩. ابن الجوزي
- ١٠. ابن حجر
- ١١. السيوطي
- ١٢. العنقري
- ١٣. ابن سعدي
- ١٤. القرعاوي
- ١٥. الشنقيطي
- ١٦. التويجري
- ١٧. ابن صالح
- ١٨. ابن محمود
- ١٩. ابن باز
- ٢٠. السلطان
- دروس مستفادة وعبر مستقاة
- خاتمة وأمل
- المراجع والمصادر
- فهرس المحتويات
